Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والذى لا يمكن أن ننكره ، هو أن شاعر القبيلة كان ملتزمًا بأن ينطق بلسان الجماعة ، فهل يعنى هذا أنه كان مجرد بوق آلى ، لا يجد نفسه ولا ينفعل بذاته ؟ هل معناه أن المجتمع كان يلزمه بإلغاء شخصيته الفردية ؟

لو تحررنا من سيطرة الفكرة المحتكمة هينا ، لوجدنا أن المعنى الحق لشاعر القبيلة هو أن ذاتيته لا تظهر معزلة عن جماعته ، فهو فرد فى جماعة تؤهله موهبته لأن يشغل فيها وظيفة ذات خطر ، هى وظيفة الشاعر العام . مثله فى ذلك مثل الفارس يشغل وظيفته فى الذود عن الحمى ، ومثل شيخ القبيلة يشغل فيها وظيفته الأبوية بحكم ما له من مؤهلات ذاتية . ولم يقل أحد إن فارس القبيلة أو شيخها . قد أهدرت فرديته بشغله وظيفة عامة ، فلماذا نقول إن الشاعر لم تعد له ذات ، إذا نطق بلسان قومه ، وهذا هو الأصل الذى تقتضيه طبيعة الفن فى الحياة ، إذ تندب لتمثيل الجماعة وجدانيًّا أرهف أفرادها حسًّا وأقدرهم على التعبير ؟

لماذا لا نقول إن سلطان القبيلة على أفرادها لا يلغى ذاتية أى فرد منهم وإنما يجعلها فردية جماعية ، لا فردية متوحشة لا تعرفها الحياة فى مجتمع ؟ إن القبيلة كما كانت تلزم الفرد أن يندمج فيها ، كانت هى — من ناحية أخرى — تلتزم مجتمعةً بهذا الفرد وتهب لنجدته إذا مسه صميم ، وقد تدخل الحرب من أجل فرد منها ناله أذى ، ولعلها لا تسأله أن يقيم الدليل على دعواه :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات ، على ما كان برهانا

فنحن هنا أمام ذاتية جماعية تندمج فيها الفردية فى الجماعية إلى حد يصعب فيه الفصل بينهما . ولسنا نحن الذين نبتدع هذا التصور بالذاتية الجماعية ونضيفها إلى شاعر القبيلة ، فلقد كان هذا الشاعر يحسها أصدق إحساس ويعيها أتم الوعى . فيقول « حريث بن محفض المازنى »[1] :

ألم تر قومى إن دعـاهم أخوهمُ ... أجابوا ، وإن يغضب على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبى[2] كما كنت حافظاً ... لقومىَ أحرى مثلها إن تغيبوا

---

(١) شاعر جاهلى إسلامى ، وضعه ابن سلام فى الطبقة العاشرة من الجاهليين وأورد هذا النص من أشعاره فى الجاهلية طبقات الشعراء ص ٥٠ ط بريل .

(٢) فى ط بريل [حمى] — تحريف يفسده السياق